



واهم من يعتقد أن ما جرى في العراق، ومن ثم سوريا، سينتهي، مع رحيل الأسد أو بقائه، بأية صيغة كانت، فالعجلة التي تحركت، عقب غزو العراق، لم يكن في حسبان أحد أنها آتية للتدمير، تدمير كل شيء، أي أمل بنهضة أو أي حلم بعد أفضل. وقتها، ظن بعضهم أنها جاءت لتدمير أسلحة الدمار الشامل في العراق، أو نشر الديمقراطية الأمريكية، غير أن أشهرأ، وليس سنوات، كانت كافية لرفع أية عصابة كانت عن الأعين، إلا أنها فشلت في رفع عصابة الفكر عن الذين ما زالوا يراهنون على أميركا.

في الربيع العربي، دارت عجلة أخرى مضادة للعجلة الأمريكية التي غزت العراق، عجلة كانت تحمل بصيص أمل، خصوصاً وأن من خرج وتظاهر هم الشباب، غير أن عجلة الثورة المضادة سرعان ما دخلت حلبة السباق، لتقضى، أو تحاول، على ما تفجر من أمل.

في سوريا، كان الحال مختلفاً، عجلة الثورة دارت، على الرغم من كل القيود والإجراءات القمعية لنظام الأسد الديكتاتوري، فلقد خرج أحمرار سوريا، يريدون استعادة وطنهم الذي صادرته ثلاثة متآمرة، يريدون استعادة الشام، بياسمينها وبيادرها التي عطشت كثيراً. وهنا، لم تتدخل الثورة المضادة وحسب، وإنما تدخل العالم كله، لإنقاذ واحد من أسوأ الأنظمة التي حكمت المنطقة.

أذنكر، وقتها، وبعد مضي أشهر قليلة على ثورة سوريا، والموقف الغريب من المجتمع الدولي، كتبت مقالاً أشرت فيه إلى أن مفتاح سقوط الأسد في تل أبيب. واليوم وبعد سنوات خمس، استخدم فيها الأسد كل ترساته المت渥حة، واستعان بكل لقطاء الأرض، لحمايته من غضبة الشعب السوري، يتبيّن فعلاً أن المفتاح في تل أبيب.

سنوات طويلة وأميركا تضحك علينا وعلى العالم، تارة تتهم المعارضة السورية بأنها غير موحدة، وتارة تقول إن بديل الأسد غير متوفر، وتارة تحارب تنظيم الدولة، وتحشد العالم لقتاله، وتنسى أنه كان نتيجة لتوحش نظام القمع الأسدية، وقبله نظام

بغداد الذي زرعته واشنطن عقب الاحتلال.

سنوات طويلة وأميركا تتحدث عن خطوطها الحمراء للأسد، فيصف بالكيماوي، ويقتل بالخردل، ويبتكر البراميل المتفجرة. وبدلاً من ملاحقته، تسمح واشنطن، بعد ذلك كله، لروسيا بالتدخل لإنقاذ الأسد، وتبدأ مرحلة أخرى من مراحل التآمر، ليس على سورية وثورتها وحسب، وإنما على هذه الأمة التي تمللت من رقاد استمر أكثر من 100 عام.

ثم لم تجد واشنطن غضاضةً من تسليح الأكراد الموالين لها، الإرهابيين وفقاً لأعراف أميركا وتعريفاتها للإرهاب، فكان أن تحول حزب إرهابي، مثل العمال الكردستاني، إلى حزب أميركا المفضل في سورية، تحت ذريعة محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، كما لم تجد غضاضةً في دعم ميلشيات إيرانية وعراقية، ارتكبت، باعتراف المنظمات الحقوقية الأممية، أبشع جرائم بحق الإنسانية، لم تجد أميركا بدأً من تقديم الغطاء الجوي اللازم لقتال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق.

إنها مؤامرة، ليس على سورية، ولا حتى على العراق، وإنما على هذه الأمة التي حلمت بانتعاقها بعد 100 عام من التكبيل والمؤامرات والدسائس والأنظمة القمعية، التي زرعتها اتفاقية سايكس بيكو عام 1916.

قبل 100 عام، شهد العالم اتفاقية سايكس بيكو، بين وزيري خارجية بريطانيا وفرنسا آنذاك، تم تقسيم العالم العربي، تركـة الرجل المريض، الدولة العثمانية، كما أقنعوا، وأقنعوا من بعدهم كتابـنا ومثقفـونـا، مـمن تـبنـوا فـكـرةـ التـقـسيـمـ، باعتـبارـ أنـ هـذـاـ العـالـمـ الـغـرـبـيـ سـيـقـيـمـ لـنـاـ أـوـطـانـاـ مـسـتـقـلـةـ، مـنـ دـوـنـ أـنـ يـجـرـؤـ أـحـدـ مـنـهـمـ عـلـىـ التـسـاؤـلـ لـخـدـمـةـ مـنـ يـفـعـلـ الغـرـبـ ذـلـكـ كـلـهـ؟ـ تـبـهـنـاـ بـعـدـ أـنـ تـحـولـنـاـ إـلـىـ بـقـرـةـ حـلـوبـ لـلـغـرـبـ وـأـفـكـارـهـ، وـبـعـدـ أـنـ زـرـعـ بـيـنـنـاـ أـنـظـمـةـ تـابـعـةـ ذـلـيـلـةـ لـهـ، أـنـهـ وـجـهـ طـعـنـةـ نـجـلـاءـ لـكـيـانـ عـرـبـيـ، كـانـ يـسـتـمـدـ قـوـتـهـ مـنـ قـوـةـ إـلـاسـلامـ، تـبـهـنـاـ بـعـدـ أـنـ كـنـاـ حـطـبـاـ لـمـؤـامـرـتـهـ ضـدـ الـخـلـافـةـ الـعـثـمـانـيـةـ.

اليوم، وبعد 100 عام من "سايكس بيكو"، يأتي حلف روسيا وأميركا، كيري ولافروف، لوضع قواعد جديدة للعبة في هذه المنطقة، وسوريا والعراق، حجر الزاوية بهذه اللعبة. ومصر بعد رئيسها المنتخب، محمد مرسي، دخلت نفق سنوات قاتمة قادمة. ولبيبا، حيث منابع النفط التي يسيطر عليها لاعب الغرب، دخلت في أتون احتراب داخلي، بينما اليمن على حافة تقسيم جديد قديم، وكل ذلك واليد الإيرانية حاضرة، فهي شرطيـهمـ الـقـدـيمـ الـجـدـيدـ، وهـيـ أـيـضاـ الـتـيـ أـثـبـتـ تـجـارـبـ الغـرـبـ أـنـهـ جـزـءـ مـخـطـطـاتـهـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ.

نشهد اليوم عملية تقاسم وتقسيم للأدوار والمصالح بين موسكو وواشنطن، بين كيري ولافروف، لا تصدقـواـ كـلـ ماـ تـسـمـعـونـهـ فيـ الإـلـاعـامـ، لاـ تـصـدـقـواـ الـمـتـبـاـكـرـينـ عـلـىـ الدـمـ السـوـرـيـ وـالـعـرـاـقـيـ، بلـ توـقـعـواـ أـنـ يـكـونـ الـقـادـمـ أـدـهـيـ. إنـهـ يـسـعـونـ إـلـىـ زـجـ تـرـكـياـ، يـنـتـظـرـونـ تـدـخـلـهـاـ، فـهيـ الـهـدـفـ الـقـادـمـ.